

تاريخ القرآن

(22) عليه، ولكنه لا يعدو الوقت المناسب في تقديره عز وجل، وما تحويل القبلة إلى الكعبة، وإبطاء الوحي في حادثة الإفك، وفترة الوحي حيناً، والتلبث في قصة أهل الكهف، إلا شواهد تطبيقية على ما نقول، وأدلة مثبتة: أن الوحي خاج عن إرادته، ومستقل عن ذاته. ولا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمن منذ اللحظة الأولى - بقناعة شخصية متوازنة - بأن ما يوحى إليه ليس من جنس الأحلام وأصغائها، ولا من سنخ الرياضيات ومسالكها، ولا من باب الأحاسيس القائمة على أساس من الذكاء والفطنة، ولا من قبيل التخيلات المستنبطة من الحدس والفراسة، وإنما كان بإيمان نفسي محض بأنه نبي يوحى إليه من قبل الله تعالى، وما الروايات والإسرائيليات القائلة بشكه في الظاهرة إلا ضرب من الأخيصة التي لا يدعمها دليل. " والحق أن وحي النبوة والرسالة يلزم اليقين من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرسول بكونه من الله تعالى على ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام " (1). ويوحى الله عز وجل لملك الوحي، ما يوحى الملك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم عن الله، ويتسلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم الوحي، فالوحي واحد هنا مع تقاسم المسؤولية، وهو عام بالنسبة لكل الأنبياء، وخاص بالنسبة لوحي القرآن أيضاً، فالملك يؤدي عن الله لمحمد، ومحمد يتلقى ذلك الوحي من الملك، ويؤدي ما يوحى به إليه إلى الناس، وكان ذلك طريق الوحي القرآني فحسب، وقد صرح به القرآن الكريم بقوله تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين *) (2). والروح الأمين هو جبرائيل عليه السلام بإجماع الأمة والروايات؛ قال طبرسي (ت: 548 هـ) : " يعني جبرائيل عليه السلام، وهو أمين الله لا يغيره، ولا يبدله... لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل عليه السلام فيحفظه، وينزل به على الرسول _____ (1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: 20 | 328. (2) الشعراء: 192 - 194.